(هديُ النَّبيّ صلى الله عيه وسلم عند الشَّدائد والمِحَن –3–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:7]

وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:80]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى، فقالوا: يا رسولَ الل مَن يأبى؟ قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» [أخرجه البخاري].

روى الترمذي وغيره عن أنس رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بالبراق ليلة أُسري به ملجَماً مسرجَاً، فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أبمحمَّد صلى الله عليه وسلم تفعل هذا؟ فما ركِبَكَ أحدٌ أكرمُ على الله منه قال: فارفضَّ عَرَقا –أي جرى عرقه وسال–).

قال أحمد بن عطاء الآدمي: (من ألزَمَ نفسَه بآداب السُّنَّة عمَّر الله قلبَه بنور المعرفة، ولا مقام أشرفُ من متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدُّبِ بآدابه).

وقال الإمام الجنيد: (الطَّريق إلى الله مسدود على خلق الله إلا على المقتفِّين آثارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم والتَّابعين لسُنَّته).

أيُّها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأوَّل شهرِ ولادة سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم أحببتُ أن أخطب فيكم خطباً أربعاً هذه ثالثتها تتحدَّث عن هدي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في الشَّدائد والأزمات، لنقتفي أثرَه ولنمشي على هداه، وأحسَن الهدى هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، هذا أوَّلاً. ولنكثر من الصَّلاة والسلام عليه ثانياً؛ فإنَّ صلاتنا معروضة عليه -صلوات ربي وسلامه عليه-.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ**» [أخرجه أبو داود والنسائي]

عنوان الخطبة:

(هديُ النَّبيِّ صلَّى الله عيه وسلَّم عند الشَّدائد والمِحَن -3-)

عَرَضَت الخطبتان الماضيتان فعلَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إذا نزلَت به شدَّة، وتعرِض خطبة اليوم لبعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشَّدائد والأزمات.

صنَّف الإمام البيهقيُّ (أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقيّ المتوفَّى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة) كتابَه الجليل "شعب الإيمان"، وأودع فيه ما يزيد على العشرة الآلاف أثر؛ ما بين مرفوعٍ وموقوفٍ ومقطوعٍ.

يشرح فيها سبعاً وسبعين شعبةً من شُعَبِ الإيمان، منطلقاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ -أَوْ سَبْعُونَ- شُعْبَةً، فَأَرْفَعُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]

راجعتُ الكتاب في مجلَّداته السَّبع، فرأيته يتحدَّث عن الإيمان والقرآن، وعن الصَّلاة والزَّكاة والصِّيام، وعن برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وعن الحياء والوفاء والتعاون، وعن إكرام الضَّيف والجار.. وغيرِها من شُعَب الإيمان، يجمَع البيهقيُّ تحتَ كلِّ عنوان من هذه العناوين الآثار والأخبار بأسانيدها، وربَّما طال الباب أو قصر تبعاً لعدد الآثار والأخبار المجموعة فيه.

ولَفَتَني أنَّ أطولَ هذه الأبواب حديثاً وأكثرَها آثاراً في هذا الكتاب ثلاثةٌ؛ هي: حسن الخلق، والزهد، والصَّبر، أورد في باب الصَّبر وحدَه خمسين وخمسَمائة حديث وأثر، وإنْ دلَّ الأمرُ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على منزلة الصَّبر من شُعَب الإيمان، ومكانة الصَّابرين في الشَّدائد والأزمَات.

وها أنا أختار لكم بعضاً -يسمَح به الوقتُ- من هذه الأحاديث والآثار؛ لنقرأ فيها هديَ النَّبيِّ صلى الله عيه وسلم عند الشَّدائد والمحَن، لنتأسَّى به ونعمَل بهديه.. صلواتُ ربي وسلامُه عليه.

قال الإمام البيهقيّ:

(الباب السَّبعون من شُعَب الإيمان: وهو بابٌ في الصَّبر على المصائب، وعما تنزِع إليه النَّفسُ من لذَّة وشهوة:

قال الله عز وجل: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: جاء نعيُ بعضِ أهلِه وهو في سفر، فصلَّى ركعتين ثمَّ قال: فعلنا ما أمرَنا الله عز وجل: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

وعن فاطمة بنت الحسين عن أبيها رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**من أصابته مصيبةٌ فقال إذا ذكرها: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)، جدَّد الله له أجرَها مثلَ ما كان له يوم أصابته**».

وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها زوجِ النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبةٌ فيقول: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم آجِرني في مصيبتي، وأخلِف لي خيراً منها) إلَّا آجَره الله في مصيبته، وأخلَف له خيراً منها**». -جاءت الرواية: آجرني وأجُرني بالقصر والمد-.

قالت: فلمَّا توفي أبو سلَمَة رضي الله عنه قلتُ: مَن خَيرٌ مِن أبي سلمة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قالت: ثمَّ عزَم الله لي فقلتُها (اللهم آجرني في مصيبتي وأخلِف لي خيراً منها)، قالت: فتزوَّجتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله عز وجل: ما لعبدي إذا قبضتُ صفيَّه من أهل الدُّنيا فصبَر واحتسب جزاءٌ إلا الجنَّة**».

وعن ثابت رحمه الله قال: سمعت أنساً رضي الله عنه وهو يقول لبعض أهله: أتعرفين فلانةً، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بها وهي عند قبرٍ تبكي، فقال لها: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت: إليكَ عنِّي فإنَّك لا تبالي بمصيبتي، فقيل لها: إنَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذها مثل الموت، فانتهت إلى باب فلم تجد بوابين، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، إني لم أعرفك، فقال لها: «**الصبر عند الصدمة الأولى**».

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: كان النَّبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله شدَّة أَمَرَهم بالصَّلاة ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّه من يستعفّ يعفُّه الله، ومَن يستغنِ يغنِه الله، ومن يصبِر يصبِّره الله، ولم تعطَوا عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبر**».

وعن معاوية بن قرة عن أبيه أنَّ رجلاً كان يأتي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ومعه ابنٌ له، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أتحبه؟**» فقال: أحبَّك الله كما أحبُّه، قال: ففقَدَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ما فعل بُنَيُّ فلان؟**» قالوا: توفِّي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما يسرُّك أنَّه كلَّما أتيتَ باباً من أبواب الجنَّة تستفتحه يسعى حتى يفتح لك؟**»، فقال رجلٌ: أله خاصَّة أم لنا كلنا؟ فقال: «**لكم كلُّكم**».

عن الحارث بن سويد، عن عبد الله رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعَك، فوضعتُ يَدِي عليه فقلت: يا رسول الله، إنَّك لتوعَك وعكاً شديداً! فقال: «**إني أوعَك كما يوعَك رجلان منكم**» قال: قلت: ذلك بأنَّ لك أجرين؟ قال: «**أجل، وما من مسلمٍ يصيبه أذىً من مرضٍ فما سواه إلَّا حطَّ الله عنه من سيِّئاته كما تحطُّ الشَّجرة ورقَها**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:123] شقَّت على المسلمين، فسألوا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: «**قاربوا وسدِّدوا، ففي كلِّ ما يصاب به المسلم كفَّارة؛ حتى الشوكة يشاكها أو النَّكبة ينكبها**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله ليبتلي عبدَه بالبلاء والهمِّ حتى يتركه من ذنْبِه كالفضَّة المصفَّاة**».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الرَّجل ليكون له المنزلة عند الله تبارك وتعالى، فما بَلَغَها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه ذلك**».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يودُّ أهلُ العافية يوم القيامة أنَّ جلودهم كانت قُرِضَت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء**».

وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**ساعاتُ الأذى يُذهِبْنَ ساعاتِ الخطايا**».

عن عطاء بن يسار رحمه الله: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا مرِضَ العبد بعثَ الله إليه ملكَين، فيقول: انظرا ما يقول لعوَّاده، فإنْ هو إذ جاؤوه حَمِدَ الله وأثنى عليه رفَعَا ذلك إلى [الله] عزَّ وجل –وهو أعلم–، فيقول: (لعبدي عليَّ إن توفَّيته أنْ أدخِلَه الجنَّة، وإنْ أنا شفيتُه أنْ أبدِلَه لحماً خيراً من لحمِه، ودماً خيراً من دمِه، وأن أكفِّر عنه سيئاته)**».

كان موسى بن طريف يقول:

إذا أبقَت الدُّنيا على المرء دينَه فما فاته منها فليس بضائر

وكان محمَّد بن عبد الوهاب البلخي يقول: (إذا رأيتَ المكروه فاذكر المدفوع).

حدَّثني حبيب أبو محمد الهزاني قال: (عادني الحسن في مرض لي فقال: يا حبيب، إنْ لم نؤجَر إلَّا فيما نحبُّ قلَّ أجرُنا، وإنَّ الله كريمٌ يبتلي العبد وهو كارِهٌ، ويعطيه عليه الأجرَ العظيم).

وأُصيبَت رِجْلُ إبراهيم المقري فقال: (لولا مصائب الدُّنيا قدِمنا على الله مفاليس)، ومن صبر على ما يكرَه رأى ما يحبّ).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سل الله من فضله، فإنَّ الله يحبُّ أن يُسأَل وأفضَلُ العبادة: انتظارُ الفرَج**».

أنشد أبو الفتح علي بن محمد الكاتب:

لا بدَّ للإنسان في دنياه من فَرَحٍ وغَمّ ومِنَ التَّقلُّب دائماً في راحةٍ أو في ألَمْ

فإذا فرحتَ براحةٍ فاشكر لوهَّاب النِّعَم وافزع إلى الصَّبر الجميل إذا أذى المرِّ ألمّ

وقال عبد الملك بن هشام الذماري: (أثاروا قبراً بذمار فوجدوا حجراً مكتوباً فيه:

اصبر لدهر نال منـ ـك فهكذا مضت الدهور

فرحٌ وحزنٌ مرَّةً لا الحزنُ دامَ ولا السُّرور

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لضرٍّ أصابَه، فإنْ كان لا بدَّ فاعلاً فليقل: (اللهمَّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفَّاني إذا كانت الوفاة خيراً لي)**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أصابَ أحدَكم مصيبةٌ فليذكر مصيبتَه بي؛ فإنَّها من أعظم المصائب**».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعتُ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يقول على هذا المنبر: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول -ثم استعبر أبو بكر فبكى- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لم تؤتَوا شيئاً بعد كلمة الإخلاص مثل العافية، فسَلُوا الله العافية**».

أيها الإخوة:

هذا شيء مِن هديِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشَّدائد والأزمات ممَّا أورده الإمام البيهقي في كتابه "شعب الإيمان".

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

والحمد لله رب العالمين